الفصل الرابع
موقف الحلفاء من الحرب على لبنان

تحدثنا في الفصل السابق عن نتائج الحرب الإسرائيلية اللبنانية على كلٍ من إسرائيل ، ولبنان ، وحزب الله . فماذا عن موقف حلفاء الطرفين المتصارعين (إسرائيل ، وحزب الله) من هذه الحرب وموقف الدول العربية المعتدلة وموقف شعوبها .

سنبدأ أولا بموقف حلفاء حزب الله : سوريا وإيران

موقف السوري من الحرب

سبق أن قلنا إن سوريا العاجزة عن مواجهة إسرائيل تتخذ كلاً من المقاومة الفلسطينية واللبنانية كوكيلين عنها في صراعها مع إسرائيل وهي لا تتوانى في التضحية بمستقبل هذين البلدين المنكوبين في سبيل الوصول إلى تسوية مرضية لها مع إسرائيل حول الجولان ، هذا هو هدف سوريا من تواجدها في لبنان منذ ١٩٧٦ وحتى خروجها مكرهة في أبريل ٢٠٠٥ بعد اغتيال رفيق الحريري الذي تشير أصابع الاتهام إلى ضلوع النظام السوري فيه مما يلف حبل المشنقة حول رقبة بعض كبار المسئولين السوريين فيما لو أنشئت المحكمة الدولية وانتهى التحقيق فيها بإدانتهم لذا كان من مصلحة الحلفاء الثلاثة (سوريا وإيران وحزب الله) إقدام حزب الله على عملية " الوعد الصادق " لتعطيل هذه المحكمة (1)

(1) انظر ، أسباب الحرب الإسرائيلية السادسة على لبنان ، الفصل الثاني " من الانسحاب إلى الاحتلال "

أما عن الموقف السوري أثناء الحرب وبعدها فقد نفى فاروق الشرع نائب الرئيس السوري صلة سوريا بما قامت به حماس من خطف للجندي الإسرائيلي في (٢٠٠٦/٦/٢٥) وصلتها بعملية حزب الله (٢٠٠٦/٧/١٢) وقرر أن المقامة الفلسطينية واللبنانية هما صاحبا القرار وأرجع سبب هاتين العمليتين إلى الاحتلال .

قال فاروق الشرع : " إن الاحتلال هو مصدر وسبب رئيسي للتحريض ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني، لذلك هناك مقاومة لبنانية وفلسطينية والقول الفصل هو للمقاومة في فلسطين وجنوب لبنان وهم يقررون ماذا يفعلون، ولماذا يفعلون" [1]

أما عن موقف الشعب السوري الخاضع لأمر نظامه ، فقد فتح المنازل للاجئين اللبنانيين ووفر لهم أسباب العيش . كما قام بتنظيم المظاهرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي والمشيدة بالموقف البطولي لحزب الله .

أما مواقف المعارضة السورية فكانت متضاربة ومتعارضة :

أولاً : التيار الوطني الديمقراطي: أبدى منذ بداية الحرب، موقفاً منها، باعتبارها حرباً أمريكية – إسرائيلية ضد لبنان ووقف مع المقاومة مؤيداً إياها ومعتبراً إياها تحارب المشروع الأمريكي – الإسرائيلي المستهدف لجزء من الأمة العربية وبالتالي تساهم المقاومة وتعزز البعد الوطني والديمقراطي إذا تنسقت وتضافرت جهودها مع جهود اليسار العربي والديمقراطيين والمنظمات المدنية في بناء الدولة العربية الديمقراطية، مع نقد ظاهر أو مبطن للبعد الديني لحزب الله وتأييد الجانب الوطني له وتثمين دوره في مواجهة الحرب..

ثانياً: التيار الليبرالي الديمقراطي، أظهر دعماً للحكومة اللبنانية وغزلا برئيسها وتآزرا لموقف النظام العربي الرسمي ومواقفه العقلانية ضد المغامرات والعمليات غير

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

المحسوبة. ووقف ضد المقاومة معتبراً إياها استطالة سورية أو إيرانية، (كتيبة إيرانية في لبنان) ليس إلا، وعلى حساب دم أخر لبناني في الجنوب. وهو نفس موقف جماعة ١٤ آذار، ولكن إذا استثنينا جماعة الليبراليين الأمريكيين فإن هذا الموقف تغير جزئياً أثناء استمرار الحرب حيث برز موقف مناصر للمقاومة باعتبارها تدافع عن لبنان وإن كان صياغاته وتعابيره الكلامية في سياق دعم الشعب اللبناني، وبالطبع كان هذا من جراء صمود المقاتلين في مارون الراس وبنت جبيل وعيتا الشعب وكل مكان وصلت إليه القوات الإسرائيلية الغازية وأيضاً بسبب الدمار اللامحدود الذي سبب العدوان الإسرائيلي ووقوف الدول الإمبريالية مع إسرائيل، ولكن موقفه وبوضع الحرب أوزارها، عاد إلى ما كان في الأيام الأولى وبذات النغمة وتحميل المقاومة ما جرى، واعتبارها حماقة وانتهى دورها وأنها تصب في خانة النظام السوري والإيراني .

ثالثاً: تيار المعارضة السلطوية: وهو أقرب لجبهة الخلاص الوطني، وربما يعتبر من أكبر المستفيدين من نتائج الحرب، حيث تعد العدة للانقضاض على السلطة السورية. خاصة وأن الحكومة اللبنانية ستعمل الآن جاهدة من أجل تشكيل المحكمة الدولية لمحاسبة المسئولين عن جريمة قتل رفيق الحريري. وباعتبارها تؤكد على لسان خدام أن السلطة السورية هي التي قامت بالعملية وتتفق مع أمريكا وفرنسا في هذا فإن سياسة أمريكا الهروب إلى الأمام الفاشلة في لبنان سيتم تجريبها على سوريا من جديد وهذا أخطر ما تواجهه سوريا منذ الثمانينيات ...

وبالمحصلة، الوقوف ضد الاحتلال ومخططاته وكذلك أنظمة الاستبداد والطائفية والعقلية الاستبدادية. والاستفادة من نتائج المقاومة. هو ما يجب أن يميز الخط الوطني الديمقراطي وقوى التيار الثالث. بذلك فقط نكون أقرب إلى العقل النقدي

والمتأمل والواقعي بامتياز وقادرون على خوض المعارك الكبيرة والصغيرة. وتشكيل الدولة العربية الديمقراطية المقاومة ومتجاوزين جلد الذات والآخرين .[1]

أما النظام السوري فقد سارع فور انتهاء الحرب بمحاولة جني ثمار حرب لم يطلق فيها رصاصة واحدة ، لقد وصف الرئيس بشار الأسد موقف الدول العربية المعتدلة بأنصاف المواقف ، ووصف حكامها بأنصاف الرجال لأنهم أدانوا ما فعله حزب الله في البداية ، ثم عادوا فوقفوا بجانبه وعملوا على إيقاف الحرب وعلى إزالة آثار العدوان بتقديم المساعدات المادية والعينية !!

فقد ألقى بشار الأسد خطاباً مطولاً يوم ١٥-٨-٢٠٠٦ في المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب أشاد فيه بالعملية التي قام بها حزب الله وندد فيها بالدول التي أدانتها وإليك عرضا لأهم ما جاء في خطاب الرئيس بشار الأسد وتعليق عثمان قدري مكانسي عليه : " يقول بشار : " إن المقاومة هي قوة رادعة لأي عدوان إسرائيلي ".. فأين المقاومة التي يمدحها ويدعو إليها ؟..إن النظام (السوري) يمنع بالقوة استعمال الحدود السورية ضد الدولة العبرية منذ عقود، ويعتقل بقرار رئاسي من يقترب من الجولان والحدود السورية. وإسرائيل – على هذا – مطمئنة إلى أن النظام يحافظ على الهدوء ويلتزم بالمعاهدة الأمنية مع إسرائيل في معاهدة " حسن الجوار " وأن تحليق الطائرات الإسرائيلية فوق دمشق والمدن السورية وقصر الرئاسة، وأن قصف المنشآت العسكرية والمدنية السورية المستمر لم يحرك في النظام الخائف ساكناً، وأن الرد الموعود على انتهاكات العدو هو الشجب والاستنكار بحياء وخفر، وهذا أقصى ما يمكن أن يفعله النظام السوري كما أدلى به بعض المسئولين. **ونلاحظ أن بشاراً لم يدل بأي تعليق على الحرب الإسرائيلية اللبنانية إلى أن أعلنت إسرائيل أنها لن**

([1]) من مقال لـ " عمار ديوب " .

تضرب سورية. فانشرح صدره، وهدأت نفسه، واستقر جنانه، وانفلت عقال لسانه. وانطلق " أسداً " في التصريح يفلسف كعادته حين يبيض ويفرّخ ويشعر بالأمان .

– يستنكر بشار أن يكتفي المجتمع الدولي بالتحقيق فقط في مجازر " قانا " و" اغتيال الحريري" ويطالب بالتحقيق في كل المجازر التي حدثت في لبنان.. ونحن نطالب بما يطالب به بشار، ونزيد أمراً مهماً وهو التحقيق في المجازر الرهيبة التي ارتكبها النظام السوري حين قتل في حماة فقط أكثر من ثلاثين ألفاً، وقتل في سجن تَدْمُر قرابة ألف مثقف وداعية من خيرة رجالات سوريا البطلة، وارتكب المجازر في حلب وجسر الشغور وجميع المدن السورية المنكوبة بالنظام الأسدي المستبد .

– يقارن بشار بين المقاومة اللبنانية عام ١٩٨٢ التي سقطت أمام ضربات الجيش الإسرائيلي في أيام معدودة فوصل الجيش الإسرائيلي بسهولة إلى بيروت وبين المقاومة اللبنانية التي يدعمها النظام السوري وإيران حيث لم يستطع الجيش الإسرائيلي أن يحتل في أكثر من شهر ألا بضع مئات من الأمتار، ونسي الفيلسوف الأسدي أن الجيش السوري ذا العقيدة القتالية الأسدية سقط – مع الأسف – في خمسة أيام عام ١٩٦٧ وضيّع الجولان. ثم خسر في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وفي أقل من أسبوع ضيّع أكثر من ثمانية وعشرين قرية. أفلا قارن بين جيشه العقائدي وبين المقاومة اللبنانية ؟! وإذا كان يدّعي الدعم للمقاومة فإن أفضل الدعم أن يغتنم الفرصة ليشن حرباً ضروساً في الجولان وينقذها، فقد ادعى أن المقاومة هي التي تحرر الجولان، فأين هذه المقاومة التي لم تولد حتى بعد أكثر من ثلاثين سنة ؟! ولن تولد في ظل النظام الأسدي .

يقول بشار في خطابه التاريخي ! : " لقد أثبتت المعارك المجيدة التى خاضتها المقاومة بإيمان وكفاءة نادرة عددا من الحقائق..الحقيقة الأولى أن القوة العسكرية

مهما عظمت عندما لا تمتلك عقيدة وأخلاقا ولا تستند إلى حقوق مشروعة ولا تبنى على سياسة مبدئية تنتج الهزيمة.

الحقيقة الثانية أن المقاومة التي تمتلك الإيمان والعزيمة والصمود وتحتضن رؤية ومبادئ وأهداف الشعب.. ويحتضنها الشعب ويتبناها تنتج الانتصار. وفى هذه الحالة لا يتعدى انتصار العدو المدجج بالسلاح كونه تدميرا للحجارة وقتلا للمدنيين. وبما أن كل احتلال هو عمل غير أخلاقي فلابد له.. بل يجب أن يفشل ويهزم.. وإسرائيل هي النموذج. فالقوة العسكرية ليست كل شيء. والقوة التدميرية للسلاح ليست كل شيء .

وهنا تكمن الحقيقة الثالثة التي تؤكد محدودية القوة الإسرائيلية رغم تفوقها . وتحددها بقوة إيماننا وثباتنا وإرادة القتال لدينا .

ونقول للرئيس بشار ما دمت تؤمن بهذا الإعداد بشقيه أو تدّعيه :

١- فهل أعددت جيشك الذي يقضي أفراده في بناء مزارع أمراء ضباطه على هذه المبادئ ؟

٢- أين المقاومة التي تمتلك الإيمان والعزيمة والصمود، وتحتضن مبادئ الشعب وأهدافه ؟

٣- بل أين المقاومة نفسها التي قضيت عليها وكممت أفواه الشعب وكبلت أياديهم فما ينبغي لهم أن يفكروا بها ؟

٤- هل الشعب قادر على احتضان المقاومة وهو مكبل بأمور كثيرة أولها وأهمها الأجهزة الأمنية التي تعد الأنفاس وتجثم على صدور الشعب فتحصي كل شاردة وواردة ؟..إن شعباً يعيش على الخوف ويربّى على الذل ليس قادراً على احتضان مقاومة لأن الأجهزة القمعية تحتضنه وتحيط به وتكتم نفَسه .

٥- إذا كان النظام يؤمن بمحدودية القوة العسكرية الإسرائيلية فلماذا لم يخض معها معركة الشرف ويحرر الجولان ؟! إننا نرى أفعالاً وأقوالاً تعاكس هذا الكلام المنمق، نرى وزير الخارجية السوري – على سبيل المثال – يتهم كل من يطالب بالمقاومة في الجولان عدواً لأمن البلاد وخيانة للوطن !!

٦- ادعى بشار أن المقاومة تأخذ غطاء شرعياً من الحكومة ولا تستأذنها في جهاد العدو. لكن هذا يكون فيما يلي :

أ- تُشْرك الشعب بكل فئاته في القتال، ولا تحجره على الآخرين إذا لم يكن تحت رايتها فقط .

ب- أن يكون ولاؤها لوطنها فلا تعمل لحساب دولة لها مصالحها الخاصة وتسعى لها على حساب الآخرين .

- وأخيراً يبدو أن النظام السوري يترنح في أيامه الأخيرة، فهو يستعدي البلاد العربية كلها ويحشر أنفه في الخلافات اللبنانية وكأنه ما يزال السيد المطلق فيه، لا يستطيع أن يستوعب التغيرات التي ألقت به خارج لبنان، ويستعمل سوقي التعبيرات مما يدل على إفلاسه وضيقه [1]

ويقول الأستاذ مصطفى بكري تعليقا على هذا الخطاب أيضا : " لقد فوجئ الجميع حتى أنصار سوريا باللهجة الحادة التي تميز بها خطاب ما بعد الحرب ، في الوقت الذي كان ينبغي على الرئيس بشار أن يحرص في خطابه علي لملمة الجراح خاصة علي الساحة اللبنانية، وأن يترك تقييم ما جرى لقادة حزب الله .

ولا يخفي علي الرئيس بشار أنه قد أوقع كافة فصائل المقاومة علي الساحة اللبنانية وفي المقدمة منهم حزب الله في حرج بالغ، وربما ذلك هو **ما دفع بالنائب عن**

([1]) عثمان قدري مكانسي " أخبار الشرق " الأربعاء ١٦ أغسطس ٢٠٠٦ .

حزب الله في البرلمان اللبناني حسين الحاج حسن إلي أن يصرح في مقابلة نشرتها الوكالة الوطنية للإعلام إلى القول: "إن حزب الله لا يتبنى كلام الرئيس الأسد فيما يتعلق بقوي ١٤ آذار ، رافضا اعتبار هذا التيار عميلا لإسرائيل، بل إنه قال "إن نصرنا هو نصر لقوي ١٤ آذار قبل أن يكون لحزب الله .. إنهم شركاء في النصر ونحن وراءهم" لقد عكست كلمات النائب حسين الحاج حسن موقفا عاما داخل قواعد حزب الله والتي ترى أن موقف هذه القوى من العدوان أياً كانت قوته، إلا أنه كان سندا في حماية الجبهة الداخلية وتعضيد ملحمة الصمود في هذا الوقت.

لقد فتح اللبنانيون بمختلف اتجاهاتهم بيوتهم وساحاتهم بل وكنائسهم للنازحين من الجنوب والضاحية الجنوبية، وفّروا لهم الإقامة والغذاء والدواء، تعامل الجميع بروح وطنية واحدة ، وأدركوا أنهم شركاء مصير أيا كانت الخلافات بينهم .

كان علي الرئيس بشار أن يدرك هذا الواقع الجديد، وأن يرفع يده عن هذا الملف تحديدا، وفي هذا الوقت تحديدا، وأن يوجه خطابه إلي كل اللبنانيين باعتبار أن ما جري من اعتداء سافر لم يستثن أحداً بل استهدف كل الشعب اللبناني بلا استثناء، وكان الهدف هو كسر إرادة لبنان وتدمير بنيته التحتية .

لقد تحدث أحد كتاب جريدة "السفير" معلقا علي آراء الناس حول خطاب الرئيس بشار فيما يخص الشأن اللبناني بالقول: "حقا لقد أريد لهذا الانتصار أن ينزلق من قمم مارون الرأس وبنت جبيل وعيترون وعيتا الشعب والطيبة والخيام إلى زواريب الساحة الداخلية بحيث يصبح الإنجاز وصانعوه في موقع الاتهام في واحدة من أكثر المفارقات اللبنانية مدعاة للاشمئزاز " .

أما عن الساحة العربية فالوضع ليس أحسن حالا، لقد كان علي الرئيس بشار أن يسعى إلي لملمة الصفوف وألا يعطي لأحد الفرصة لفرض عزلة علي سوريا، لكنه

فعلها دون أن يحسب حساب ما يقال علنا وما يقال داخل الغرف المغلقة، وهكذا كرر ذات الخطأ في تقدير الموقف .

ومن الواضح أن الرئيس بشار أدرك أن حديثه ترك انطباعا سلبيا لدي الكثير من الدوائر، ولذلك خرج وزير الإعلام السوري د.محسن بلال في اليوم التالي بتصريح لقناة العربية يسعى فيه إلي معالجة آثار الحديث في هذه القضية بالقول : "إن علاقة الرئيس بشار بكل من العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز والرئيس المصري حسني مبارك علاقة أخوية وصداقة من الدرجة الرفيعة، وقال: كنا نريد من كل أشقائنا العرب أن يقفوا معنا إلي جانب المقاومة من أجل السلام الذي يضمن الحقوق".

لقد أدرك الرئيس بشار أن كلامه حول أن الحرب أسقطت أصحاب أنصاف المواقف أو أنصاف الرجال ربما يساء فهمه ويتخذه البعض وسيلة لإعلان الحرب علي سوريا وفرض العزلة عليها، فسعي علي الفور إلي تصحيح الموقف من خلال وزير الإعلام .

كنا نتمنى أيضاً في هذا الوقت أن نسمع صوت البندقية السورية، وأن نرى الطيران السوري يصد غارات الطيران الإسرائيلي علي شعب لبنان الأعزل [1] .. كنا نتمنى في هذا الوقت تحديدا أن نري جبهة الجولان وقد اشتعلت من تحت أقدام العدو .

إن سوريا تؤكد دوما أن لبنان هي عمق لأمنها الاستراتيجي، وأنه لا فارق بين أرض لبنان وأرض سوريا، لذلك توقع الكثيرون أن يخرج الطيران السوري ليحمل

([1]) عندما احتلت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ لم تحرك القوات السورية المرابضة على أرض لبنان ساكنا ولم تطلق رصاصة لصد العدوان بل تركت القوات الإسرائيلية المسلحة تبيد المقاومة اللبنانية وتدمر لبنان وتحتل عاصمتها بيروت وتقوم بمذبحة صابرا وشاتيلا التي راح ضحيتها [١٥٠٠] شهيداً من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء ، واكتفت القوات السورية بدور المشاهد لكل هذه الأحداث ، مع أن مبرر وجودها في لبنان كان محاربة إسرائيل والدفاع عن لبنان !! المؤلف .

الأبرياء والمدنيين الذين انفرد بهم الطيران الإسرائيلي ودك قراهم وبيوتهم وأقام المذابح والمجازر علي الأرض.

هؤلاء من المؤكد أنهم انتظروا لحظة تدخل الطيران السوري الأقرب إليهم لحمايتهم أمام عجز الدولة اللبنانية عن توفير الحماية الجوية وعدم امتلاك المقاومة لسلاح الطيران القادر علي التصدي وحماية الأرواح البريئة والبنية التحتية التي لحقها الدمار، غير أن ذلك لم يحدث مما دفع الكثيرون إلي التساؤل :

ومتي تتدخل سوريا ؟

و متي تشعل الأرض تحت أقدام الأعداء الذين تمركزوا في الجولان دون أن تطلق في مواجهتهم رصاصة واحدة علي مدي سنوات طوال، وهو أمر نادر الحدوث في كل أرض يغزوها محتل ؟!

إن سوريا رفضت محاولات كثيرة لعودة الجولان إليها مجردة من السلاح وبشروط تراها مخلة بالسيادة، لكن ذلك ليس معناه الانتظار حتى أبد الدهر .. إن المقاومة تفتح الطريق أمام التفاوض وتسرع الخطي نحو إجبار العدو علي الانسحاب .

ولذلك إذا ما اشتعلت المقاومة علي أرض الجولان فذلك من شأنه أن يحرك الأمور ويدفع العدو إلي مراجعة مواقفه، ويؤكد مصداقية شعار التحرير، وهو أمر نثق أنه ليس غائبا عن سوريا العربية خاصة أمام اللغة الجديدة التي بدأنا نسمعها عن استعداد سوريا للتصدي للعدوان وإنها سترد علي الفور.

نعم في كل مرة تخترق الطائرات الإسرائيلية حدود سوريا وتضرب أهدافا عسكرية كان الألم يعتصرنا جميعا ونتساءل: أين المقاتلات التي تتصدى؟!

وإلي متي الالتزام بالصمت في مواجهة العدوان ؟

ويوم أن وصلت طائرات العدو فوق مبني القصر الجمهوري في اللاذقية الذي كان متواجدا فيه الرئيس الأسد شعرنا جميعا بالمهانة ورحنا نسأل من جديد:

أين المضادات ؟ وأين الطائرات ؟!! (1)

الغارة الإسرائيلية على سوريا

شنت مقاتلات إسرائيلية غارة على الأراضي السورية فجر يوم الخميس ٦-٩-٢٠٠٧ ودمرت قواعد عسكرية شمال سوريا ؟

فقد أكد مسئول في وزارة الدفاع الأمريكية، البنتاجون، أن مقاتلات إسرائيلية شنت غارة على سوريا . من جهة أخرى نقلت صحيفة "الصنارة" الصادرة في إسرائيل عن مصادر إسرائيلية لم تسمها قولها أن الطائرات الحربية الإسرائيلية قصفت "قواعد عسكرية إيرانية مشتركة في شمال سوريا وعلى ما يبدو فقد دمرتها كليا ".

وأكد بنيامين نتنياهو زعيم تكتل ليكود الإسرائيلي المعارض أن المقاتلات الإسرائيلية قد شنت غارة جوية على سوريا التي قالت دمشق إنها وقعت في ٦-٩-٢٠٠٧ وأكدتها مصادر أمريكية سابقا، فيما قال وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك أن إسرائيل قادرة على إلحاق الهزيمة بأعدائها أينما كانوا وفي أي وضع. (2)

وانتظرنا من النظام السوري أن يتخذ من هذا الاعتداء ذريعة لشن حربا مجيدة على إسرائيل البلد الضعيف – حسب الزعم السوري – الخارج من معركة خاسرة مع حزب الله لكي يحرر بها الجولان المحتل الذي يرزح تحت نير الاحتلال الإسرائيلي أكثر من أربعين عاما .

---

(1) مصطفى بكري " علامات استفهام حول خطاب بشار؟ " جريدة مصر العربية ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦ بتصرف .

(2) العربية نت .

ولكن طال انتظارنا ولم يُقْدِم النظام السوري إلا على تقديم شكوى للأمم المتحدة التي لا يفتأ يصم أعضاءها بالانحياز لإسرائيل .!!

فقد قدمت سوريا الثلاثاء ١١ – ٩ – ٢٠٠٧ شكوى رسمية للأمم المتحدة حول "الانتهاك الصارخ" لأجوائها يوم الخميس والذي قالت إن دفاعاتها الأرضية تصدت خلاله للمقاتلات الإسرائيلية وأجبرتها على التراجع .

ونفى فاروق الشرع ما ذكرته تقارير أمريكية وبريطانية من أن الغارة استهدفت موقعا يعتقد بأنه مخصص لأنشطة نووية، وقال إن الموقع الذي استهدفته الغارة هو مركز لدراسات الأراضي القاحلة تابع للجامعة العربية وليس مركزا عسكريا . يذكر أن الطيران الحربي الإسرائيلي حلق فوق قصر للرئيس السوري بشار الأسد شمالي سورية في يونيو ٢٠٠٦، ما أثار غضب دمشق. (١)

إذن النظام السوري عاجز عن حماية قصره الرئاسي فضلا عن الأراضي السورية فلم هذه الجعجعة الكلامية التي يثيرها النظام السوري متهما حكام العرب الذين ليس لهم أراض محتلة بأنصاف الرجال !!

كما دأب النظام السوري على رفض التسوية السلمية وقرارات الأمم المتحدة فقد رفض حزب البعث السوري من قبل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ واتهم عبد الناصر الذي قَبِلَه بالخيانة ، ورفض اتفاقية روجرز التي وقعها عبد الناصر وشن حربا كلاميا عليه، كما امتنعت سوريا عن حضور مؤتمر جنيف للسلام ، وعارضت بشدة كامب ديفيد واتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية . وشكلت مع بعض الدول العربية جبهة للتصدى لمصر التي استردت جميع أراضيها حربا وسلما .

ومع ذلك قبلت سوريا بالتسوية السلمية مع العدو الصهيوني فقد وافقت على اتفاقية سلام مع إسرائيل عام ٢٠٠٠ ولكن إسرائيل تراجعت عنها في اللحظة الأخيرة !

---

(١) BBC بالعربية بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠٧

أما عن موقفها من مؤتمر أنابوليس الأخير فأقل ما يوصف به أنه مخزٍ

موقف سوريا من مؤتمر أنابوليس

صرح بشار الأسد وأحمدي نجاد قبل المؤتمر بيومين بأن " المؤتمر محكوم عليه بالفشل " (١)

وصرح وليد المعلم وزير الخارجية السورية بأن قضية مرتفعات الجولان السورية المحتلة ليست قابلة للتفاوض، وأكد أن سوريا لن تعترف بإسرائيل قبل انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة في يونيو١٩٦٧، وأن حالة الحرب بين إسرائيل وسوريا لا تزال قائمة. وأضاف أن نقطة الانطلاق واضحة علي المسار السوري . الإسرائيلي، مشيرا إلي أن سوريا لا يمكن أن تعود إلي نقطة الصفر في المفاوضات، بعد أن أنجزت ٨٥% من عناصر اتفاق السلام مع إسرائيل في مؤتمر مدريد . (٢)

كما صرح وليد المعلم بأن بلاده ستشارك في أنابوليس إذا وافقت واشنطن صراحة على إدراج قضية الجولان المحتلة في جدول الأعمال مشيرا إلى أن رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وعدت برد إيجابي ، ودمشق تنتظر رسالة رسمية . (٣)

وكشف ستيف هادلي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي – قبل بدء المؤتمر بساعات – عن أن قضية هضبة الجولان السورية ليست مدرجة علي جدول أعمال المؤتمر . علي عكس ما تردد من قبل . إلا أنه ستكون أمام جميع المشاركين الفرصة للحديث عما يريدون من قضايا .(٤)

---

(1) قناة الجزيرة ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٧
(2)جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
(3)جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧
(4) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧

وبرغم تصريح بشار الأسد بأن المؤتمر محكوم عليه بالفشل ، وبرغم أن الإدارة الأمريكية رفضت إدراج قضية الجولان على جدول الأعمال إلا أن وفدا سوريا برئاسة فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري قد شارك في المؤتمر !!

وعاد الوفد كما ذهب يجر أذيال الخيبة !! ([1])

كان هذا موقف سوريا حليف حزب الله من الحرب ، ومن السلام ، فماذا عن موقف إيران ثالث الأثافي من تلك الحرب ؟

وقبل التعرض لموقف إيران من الحرب نرى من الأهمية بمكان أن نقدم عرضا موجزا لتاريخ إيران المعاصر نبين فيه تطور العلاقة بين إيران وكل من أمريكا والدول العربية ، واستراتيجية إيران بعد الثورة الإسلامية وعلاقة هذه الاستراتيجية بحزب الله والحرب على لبنان .

العلاقات الأمريكية الإيرانية قبل الثورة الإسلامية

ازدادت أهمية إيران داخل الاستراتيجية العسكرية الأمريكية منذ مطلع السبعينات وحتى نهايتها ، وأصبحت إيران في تلك الفترة تؤدي أكثر من مهمة داخل تلك الاستراتيجية :

١- إيران عضو مؤسس داخل حلف " السنتو " والذي يضم باكستان وتركيا ، و بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

٢- تقوم إيران بمهمة الدولة الحارس للمصالح الأمريكية والغربية في منطقة الخليج العربي فهي وسائر حلفاء أمريكا في المنطقة يمثلون بديلا عن الوجود العسكري الأمريكي باهظ التكاليف أو عن تدخل عسكري غير مؤيد شعبيا .

([1]) لمزيد من التفصيل حول مؤتمر أنابوليس راجع " فتح و حماس ، من مقاومة الاحتلال للصراع على السلطة " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر .

٣- تعد إيران من أهم ممولي الولايات المتحدة وغرب أوروبا بالنفط .

٤- تمثل إيران إحدى النقاط المتقدمة على خط استراتيجية الاحتواء الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي فهي بمثابة حاجز لابد من تقويته في وجه ما درج على تسميته بالخطر الأحمر أو الشيوعية .

٥- لإيران أهمية كبيرة للاقتصاد الأمريكي فهي تعتبر :

أ- من أهم أسواق تصدير المنتجات الأمريكية بما في ذلك السلاح والعتاد الحربي

ب- من أهم مناطق الجذب للاستثمارات الأمريكية وخاصة في مجال البترول .

ج- من أهم المودعين في البنوك الأمريكية فالأرصدة النقدية التي تمتلكها إيران من عائدات النفط تعود فائدتها على الاقتصاد الأمريكي . [1]

إن الولايات المتحدة قد رسخت وجودها العسكري في إيران ابتداء من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٧٩ (عام الثورة الإسلامية الإيرانية) وخلال هذه الفترة تم تدعيم موقع إيران داخل الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وذلك عن طريق جعل إيران ترسانة عسكرية متطورة ومحتوى لقواعد أمريكية متقدمة وتقول الإحصائيات إن الصادرات الحكومية الأمريكية من السلاح إلى ثلاث دول في الشرق الأوسط هي إيران والسعودية وإسرائيل شكلت في منتصف السبعينات ٦٠ % من مجمل صادرات الأسلحة الأمريكية إلى الخارج ، وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على حوالي نصف تجارة السلاح في العالم فإن الدول الثلاث في تلك الفترة حصلت على حوالي ٣٠ % من مجمل تجارة العالم العسكرية وتُبْنى سياسة الولايات المتحدة في هذا المجال على فكرة أن تسليح الحلفاء يقلل من تورط الولايات المتحدة عسكريا في الأزمات [2]

([1]) انظر " الصراع العراقي الإيراني " بسيوني محمد الخولي الهيئة العامة للكتاب ص ٧٢-٧٤

([2]) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٧٢

وفي المقابل وجد السوفييت في العراق فرصتهم من أجل مزاحمة الوجود الأمريكي في الخليج والهلال الخصيب فكانت سياستهم هي إمدادات السلاح والعتاد الحربي إلى العراق علاوة على المستشارين والخبراء العسكريين فضلا عن توطيد النفوذ السياسي والمصالح الاقتصادية . (1)

كانت تلك هي حال المنطقة قبل الثورة الإيرانية التي قلبت كل الموازين وغيرت كل التحالفات . لقد كانت الثورة الإيرانية (١٩٧٩) بالفعل النهاية المأساوية للعلاقات الأمريكية الإيرانية وكذا لخروج إيران كأهم معقل للإستراتيجية الأمريكية في منطقة وسط آسيا من تلك الاستراتيجية إلى غير رجعة . فقد قررت إيران بعد الثورة أن تتخلى عن القيام بدور شرطي الخليج وأنها ستنهج سياسة مستقلة تجاه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وكذلك ألغت إيران ارتباطاتها بحلف السنتو وأعلنت رغبتها في الانضمام لحركة عدم الانحياز .

وبدأ التدهور في العلاقات الأمريكية الإيرانية باعتراض الولايات المتحدة وإدانة الكونجرس لأحكام الإعدام في إيران الأمر الذي اعتبرته إيران تدخلا قي شئونها الداخلية ، واشترطت إيران بعد ذلك لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة تسليم عدد من رجال الشاه (حليف الأمريكان المخلوع) الأمر الذي رفضته أمريكا .

ثم تدهورت العلاقات تماما بعد دخول الشاه إحدى مستشفيات نيويورك للعلاج وطلبت إيران من الولايات المتحدة تسليمه لمحاكمته ورفضت إيران أن تتبادل السفراء حتى يغادر الشاه الولايات المتحدة ثم جاءت أحداث احتجاز الرهائن الأمريكية في السفارة الأمريكية بطهران وتجميد أمريكا الأرصدة الإيرانية المودعة في بنوكها لتزيد الطين بلة وتتوتر العلاقات بين البلدين تماما .

---

(1) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٧٨

وإزاء المقت الإيراني الشديد للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم أجمع لم تملك الولايات المتحدة إلا أن تعلن عن عدم رضائها بل وشجبها لممارسات إيران وتصميمها على مواصلة الحرب مع العراق .

وبالرغم من الموقف الأمريكي المعلن والذي يترجم رغبة الحكومة الأمريكية في انتهاج مسلك المحايد إلا أن كثيرا من المصادر الغربية ، وكذا مصادر أخرى محايدة قد أعلن في أكثر من مناسبة عن تسرب صفقات من الأسلحة الأمريكية إلى إيران تلك الأسلحة التي يتم السماح بها بالتوجه إلى إيران على مسمع ومرأى من الحكومة الأمريكية وهي تغض الطرف عن تلك الشحنات بالقدر الذي لا يسمح بهزيمة إيران وانهيار موازين القوة الإقليمية فالولايات المتحدة قد تسمح بانهيار قوة إيران الاقتصادية والعسكرية إلا أنها لا يمكن أن تسمح مطلقا بانتهائها تماما [1]وهو نفس المنطق الذي ستتبعه إسرائيل في حربها مع حزب الله .

وتتركز مسائل الخلاف بين الدولتين من وجهة النظر الإيرانية في عدة نقاط منها:

١- قيام الولايات المتحدة بتجميد الأرصدة الإيرانية منذ قيام الثورة والتي تقدر بنحو ١٢ مليار دولار .

٢- فرض الولايات المتحدة الحظر التجاري والتكنولوجي والعسكري الشامل على إيران والذي يعوق تنمية بنائها الاقتصادي والعسكري بعد الحرب . ففي ظل تطبيق سياسة الاحتواء المزدوج على كل من إيران والعراق لتطويقهما قامت أميركا بفرض حظر اقتصادي شامل في مايو ١٩٩٥ وألحق بقانون داماتو ١٩٩٦.

٣- قيام الولايات المتحدة بما تعتبره إيران تدخلا في شؤونها الداخلية مثل تأييد مظاهرات الطلبة في يوليو ١٩٩٩ وإصدار التقارير التي تدين إيران بانتهاك حقوق الإنسان وتضييق الحريات الدينية .

([1]) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ٨٤

٤- كما يأتي الخلاف حول الموقف من كثير من القضايا الإقليمية التي تهم الدولتين ومن أهمها الموقف من التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي .

٥- رغبة أمريكا بالانفراد بالمنطقة والوقوف في وجه مصالح وطموح وتطلعات إيران في المنطقة .

وعلى الجانب الآخر يرى بعض المحللين أن مسألة العلاقة بين البلدين ليست مشكلة إيرانية بقدر ما هي مشكلة أميركية، فما زالت مراكز سلطة أميركية داخلية مثل الكونغرس الموالي لإسرائيل تقف عقبة أمام تحسين العلاقات مع إيران. فبالنظر إلى الخسائر التي تتكبدها إيران خاصة على المستويات الإقليمية سواء في الخليج أو آسيا الوسطى من جراء الحصار الأميركي، يمكن للنظام الإيراني أن يكون أكثر مرونة وأقل ممانعة في عودة العلاقات خاصة وأن إيران في مجال علاقاتها مع بريطانيا أثبتت أنها قادرة على إزالة العقبات من أمامها كلما استلزمت المصلحة ذلك.

ومع نجاح بجاد المحافظ المتشدد وإصراره على المضي قدما في برنامج إيران النووي ودعمه لحزب الله زادت الهوة بين السياستين .

فلم يكن عداء الثورة الإيرانية الشديد للولايات المتحدة سببه مساندة أمريكا للشاه والحظر الاقتصادي والتكنولوجي والعسكري فحسب بل كان هناك سبب آخر أهم وهو الصراع بين الصهيونية العالمية (التي تمثلها أمريكا وحلفاؤها) وبين الثورة الإيرانية على أطماع سياسية واقتصادية لكل منهما في بلاد الشرق الأوسط .

أهداف الثورة الإيرانية

كان من أهم أهداف الثورة الإيرانية :

١- على المستوى الداخلي : تقويض نظام الشاة و إقامة نظام آخر اختارت له النموذج الإسلامي الشيعي الإمامي في الممارسة السياسية .

٢- على المستوى الإقليمي : مستوى العالم العربي عمدت إلى تكريس طابعها القومي ، ولو بطريقة غير مباشرة ، فقد افترضت أنها تتحمل مسئولية قيادية تحتم عليها تصدير الثورة إلى كل دول المنطقة بل تعمل على هدم كل النظم الرجعية ، وإقامة نظم راديكالية .

العلاقات العربية الإيرانية

إن علاقات إيران بالدول العربية قبل الثورة الإيرانية لا يمكن توصيفها على أنها علاقات صداقة أو تعاون بل كانت مترددة بين العداء ومساندة إسرائيل في صراعها مع العرب ، وبين الفتور وانعدام العلاقات كلية .

وفي يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ استولت إيران على ثلاثة جزر تقع في وسط مضيق هرمز هي : جزيرة طنب الكبرى ، وجزيرة طنب الصغرى ، جزيرة أبو موسى ، والجزر الثلاثة تابعة لإمارة رأس الخيمة .

وأثار هذا الاحتلال للجزر الثلاثة المشاعر والأحاسيس القومية العربية ، وجاء رد الفعل معبرا عن سلامة الحس العربي في أجلى صوره ، حيث أصدر مجلس الجامعة العربية قرارا في ١١ مارس ١٩٧٢ أكد فيه على عروبة الجزر الثلاثة ، وأدان احتلالها بالقوة مما يهدد الأمن والاستقرار في منطقة الخليج ، ويتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية والمعاهدات الدولية .

وساد اعتقاد لدى البلاد العربية بأن الثورة الإيرانية قد تكون أكثر استجابة للتفاوض من أجل تعديل التعديات والمكاسب التي حققها الشاه على حساب العرب إلا أن الثورة أعربت عن تمسكها بتلك المكاسب بل وأعلنت عن ادعاءات أخرى في أراضي عربية وأعرضت عن التفاوض .

كان من أوضح الأدلة على الصراع الذي بدأته الثورة الإيرانية مع القومية العربية تلك السياسة المعلنة التي كانت ترمي إلى تقويض جملة النظم السياسية العربية ،

وإشاعة جو الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط ، وبصفة خاصة المنطقة العربية وتمثلت أول تلك الممارسات في حركة " جهيمان العتيبي " التي حاولت الاستيلاء على الحرم المكي في نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ في السعودية ، وجاءت ثاني تلك الممارسات في اكتشاف العراق مؤامرة للتخريب داخل البلاد في أواخر ١٩٨٠ ثم اكتشاف مؤامرة شبيهة داخل النظام الكويتي خلال عام ١٩٨٤ [1] وعمليات شبيه داخل مصر في التسعينات وصفت على أنها عمليات إرهابية ولقد أثبتت التحقيقات المصرية أن النظام الإيراني موَّل كثير منها .

مرت العلاقات العربية الإيرانية بعد الثورة بمراحل وفترات تفاوتت برودتها وسخونتها على مدى ربع قرن ، ويمكن رصد ثلاث مراحل رئيسية هي :-

١- الجمهورية الإسلامية الأولى وهي تمثل المرحلة الخمينية التي بدأت بقيام الثورة الإيرانية ١٩٧٩ ، وانتهت بموت الخميني ١٩٨٩ وفي هذه المرحلة دخلت العلاقات العربية / الإيرانية في دوامة من الشك والتوجس وتبادل الاتهامات والهجوم الإعلامي فقد كانت الحكومات العربية ترى أن الثورة الإيرانية تمثل تهديدا لها فهي تشجع التيارات الدينية على الثورة عليها والسعي لإقامة حكومة إسلامية ، كما كانت تعمل على تجنيد الأئمة الشيعة لموالاة الثورة الإيرانية واتباع سياستها المنافية بالطبع لسياسة حكوماتها .لذا فإن العلاقات قد أخذت طابع الخوف والمؤامرة . تشير الوقائع التاريخية إلى أن عنصري الأيديولوجية والمصلحة قد لعبا دورا هاما في هذه العلاقات علي مختلف المستويات خاصة المستوى الإقليمي؛ وكانا عامل ضبط وتوجيه لنشاط كل من الجانبين في قيامه بدوره وواجبه وتنفيذ تعهداته في المنطقة. إن أيديولوجية النظام الحاكم في إيران قد فرضت عليه طرح مبادئ الثورة على شعوب العالم

([1]) بسيوني محمد الخولي " الصراع العراقي الإيراني " الهيئة العامة للكتاب ص ١٥ ، ١٦

الإسلامي، لكن حرب السنوات الثماني مع العراق – والتي كانت من الموجهات الأساسية لإيران في علاقاتها مع دول الخليج والعديد من الدول العربية– أدت إلى أن يتخذ أسلوب طرح الثورة الإسلامية نوعا من الوسائل العنيفة التي تخلق كثيرا من الحساسية لدى الشعوب والحكومات العربية [1]

٢– الجمهورية الإسلامية الثانية وهي تبدأ بوصول الإصلاحيين (رفسنجاني وخاتمي) للحكم بعد موت الخميني ، وفي هذه المرحلة تحولت إيران من حالة الثورة إلى حالة الدولة التي تستوجب سياسة خارجية مرنة تضمد الجراح وتسد الفجوات وتقرب وجهات النظر لذا تراجع مشروع تصدير الثورة لحساب الانفتاح على دول الجوار .

وأثناء جمهورية الإصلاحيين أخذت العلاقات العربية الإيرانية طابع القبول المتبادل والاستعداد للتعاون وتكثيف الاتصال المتبادل، ورفع وتيرة التشاور والتنسيق الذي توج أحيانا بتفاهمات ومعاهدات ، أو من خلال معالجة أكثر هدوءا للملفات العالقة التي لم تطو بعد . تمت عرقلة الكثير من هذه التفاهمات والمعاهدات بواسطة المحافظين [2]

٣– الجمهورية الإسلامية الثالثة وتبدأ بانتخاب أحمدي نجاد المحافظ المتشدد ٢٠٠٥ وهو ما يعني عودة العلاقات العربية الإيرانية إلى العقد الأول بعد الثورة الإيرانية .

وقد وصف البعض فوز نجاد في الانتخابات الرئاسية الإيرانية بأنه بمثابة "تسونامي"، قد يؤدي إلى تغيير جذري في الوضع داخل إيران وفي علاقاتها مع

([1]) د. محمد السعيد عبد المؤمن " إيران الثورة: المصلحة والأيديولوجية في كفة واحدة " موقع إسلام أون لاين ٢٠٠٢/١١/٢٨

([2]) أحمد السيوفي " أوراق المحافظين والإصلاحيين " إسلام أون لاين.نت ٦-٣-٢٠٠٤

الغرب؛ لأن برنامج نجاد أكثر تشددا في الداخل سياسيا واقتصاديا، ويميل نحو العودة إلى حضن الثورة الإيرانية ، أو ما يمكن أن نسميه "الجمهورية الثالثة" بعد جمهورية الخميني المحافظة، وجمهوريات الإصلاحيين (رفسنجاني وخاتمي)، فضلا عن أنه سيكون بدوره أكثر تشددا مع الغرب؛ لأنه يحمل فكرة تقديم "إسلام عالمي" يرفض الإذعان مثلما حمل بوش فكرة "تغيير العالم" لصالح أمريكا. ([1])

العلاقات الإيرانية السورية

تتميز العلاقات السورية الإيرانية بالخصوصية والتفرد، فالدولتان تفرقهما الأيديولوجية (علمانية النظام السوري وشيعية النظام الإيراني) وتجمعهما المصلحة والخصوم (الولايات المتحدة وإسرائيل والعراق) والمنفعة المادية المتبادلة .

وبالرغم من التفاوت في قوة هذه العلاقات فإنها استمرت وتخطت أي مشاكل قد تظهر. فحتى على مستوى تداخل وتشابك المصالح والنفوذ على الساحة اللبنانية استطاعت الدولتان السيطرة على التباين في الأساليب وتداخل مناطق النفوذ من أجل استمرار هذه العلاقة الحيوية للطرفين، فسوريا بمثابة مدخل إيران للعالم العربي، وإيران ورقة ضغط هامة في يد سوريا في مفاوضاتها مع إسرائيل . وركزت السياسة الخارجية الإيرانية في لبنان على المجتمع والعلاقة مع الطائفة الشيعية خاصة حزب الله .

وجاء التطور الحاسم منذ انتخاب خاتمي في تعزيز العلاقات على مستوى المؤسسات من خلال تبادل الزيارات على مستوى كبار المسئولين من البلدين .

وبفوز أحمدي نجاد يعني اكتمال سيطرة المحافظين على كل مؤسسات الدولة (البرلمان والرئاسة والمجالس المحلية) ويبقى السؤال عن دلالات فوز الرئيس المتشدد

([1]) محمد جمال عرفة "إيران تعود للثورة بـ"الجمهورية الإسلامية الثالثة" ٢٦ / ٦ / ٢٠٠٥ موقع إسلام أون لاين .

نجاد وتدشينه جمهورية إسلامية ثالثة متشددة على غرار الأولى في وقت تسعى فيه واشنطن لفرض أجندتها على العالم، وفرض نموذج غربي للديمقراطية يحفظ مصالحها ويستبعد الإسلاميين من أجندة الديمقراطية في الشرق الأوسط .

والإجابة عن هذا السؤال يلخصها الكاتب فهمي هويدي المتخصص في الشأن الإيراني بقوله : " إن الأمريكيين حصدوا التشدد الذي زرعوه .. من زرع التطرف يحصد التطرف"؛ فالإيرانيون –باختصار– اختاروا رئيسا متشددا قادرا في ذهن الشعب على التصدي للتشدد الأمريكي .

وبفوز أحمدي نجاد تكون قد تمت السيطرة لـ آية الله علي خامنئي المرشد الأعلى على السلطة القضائية لدى صعوده لمنصب المرشد الأعلى، ثم تمكنه من الهيمنة على السلطة التشريعية بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي أجريت عام ٢٠٠٤. وبفوز "نجاد" رئيسا تجتمع كل السلطات في يد خامنئي .

علاقة إيران بحزب الله

ومنذ نشأة حزب الله في عام ١٩٨٥ والعلاقة معه تخضع لعديد من المشاورات والمناقشات بين الأجنحة السياسية في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فقد أرادت إيران من ظهور حزب الله كقوة عسكرية تحقيق أكثر من هدف :

الأول : ضمان موطئ قدم لها في ملف الصراع العربي– الإسرائيلي، بما يجعلها تمتلك من الأدوات الإقليمية الكثير لتوظيفها حين تسنح فرص ذلك ووفق المصلحة الإيرانية .

والثاني : إقامة نقطة وثب لتصدير مشروع الثورة الإسلامية الإيرانية إلى المحيط العربي المجاور، وقد استمرت هذه الرؤية طاغية على الخطاب الرسمي الإيراني من حزب الله حتى بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي، والتي شهدت بداية تحول

إيران من حالة الثورة إلى حالة الدولة بما يقتضيه ذلك من إضفاء نوع من المرونة في التعاطي مع الخارج، وتراجع مشروع تصدير الثورة لحساب الانفتاح على دول الجوار.

وفي هذه اللحظة بالتحديد برز تيار داخل الأجنحة السياسية الإيرانية قاده رئيس الجمهورية آنذاك أكبر هاشمي رافسنجاني دعا إلى تحويل حزب الله إلى حزب سياسي ودمجه داخل الدولة اللبنانية، وقيامه بدور شعبي من خلال ملء الفارغ الناتج عن انسحاب الدولة من بعض الأنشطة خصوصا الاجتماعية، على اعتبار أن ذلك يمثل آلية مثلى لاكتساب الحزب قاعدة شعبية عريضة تجعل منه قوة سياسة يعتد بها داخل لبنان .

وقد لاقت هذه الدعوة استجابة نسبية من جانب حزب الله الذي قام بإنشاء مؤسسات مدنية للإغاثة والإعمار على غرار مؤسسات أنشئت في إيران مثل مؤسسة الشهيد، وجهاد البناء وغيرهما. لكن هذه الدعوة لاقت فتورا من جانب التيارات اليمينية المتشددة في إيران التي رأت أن تحول حزب الله إلى قوة سياسية لن يصب في مصلحة إيران، لكون ذلك يمثل خصما من قوته العسكرية الموجودة على الحدود الشمالية لإسرائيل .

لذا أشاد علي خامنئي بحزب الله وكفاحه في لبنان ضد ما وصفه بالورم الصهيوني الخبيث في المنطقة. [1]

إيران والحرب على لبنان

نتيجة لتوجه الاتحاد الأوروبي إلى إعادة الملف النووي الإيراني إلي مجلس الأمن والتوتر الذي طرأ علي العلاقات العربية الإيرانية بعد اجتماع دول الجوار العراقي

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

والذي شعرت بعض الأطراف العربية بأن هناك نوعا من الابتزاز والاستقواء ومحاولات الاستغلال من قبل النظام الإيراني لها (1) قررت إيران بموافقة سوريا دفع حزب الله للمبادرة بالهجوم علي إسرائيل. وحزب الله حزب عقائدي، يتبع ولاية الفقيه، التي تعني الولاء الديني والسياسي الكامل لخامنئي .

لقد عني هجوم حزب الله علي إسرائيل في هذا الظرف وهو ورقه بيد إيران سبق لها ولسوريا أن استخدمتاها في مناسبات عدة بعد خروج إسرائيل من لبنان عام٢٠٠٠ انفجار الصراع بين إيران والولايات المتحدة في نقطة ضعيفة هي لبنان.

وهذه هي الساحة الثانية بعد العراق التي تستخدم فيها إيران الانتشار الشيعي لتحقيق مصالحها الوطنية، والاندفاع في مواجهتها الإستراتيجية. وقد أفادت إسرائيل كثيرا من هذا الهجوم. فقد كانت محشورة في غزة بسبب المذابح التي ترتكبها ضد المدنيين، دونما أفق أو نتيجة . ثم إن الولايات المتحدة في سياسات المحافظين الجدد اعتمدت التدخل المباشر والحروب الاستباقية ، وتعاونت مع إيران في أفغانستان والعراق وفشلت تلك السياسات كلها وما استفادت منها غير إيران، والي حد ما الأكراد. وقد اضطرت الولايات المتحدة في الشهور الماضية للاعتراف بالشراكة الإيرانية في العراق، وأقبلت من خلال الأوروبيين؛ ولأكثر من عام علي التفاوض علي النووي الإيراني. واعتبرت إسرائيل أنها أهملت، وما روعيت مصالحها الأمنية والإستراتيجية وسط الثوران الإسلامي الأصولي من حولها. ولذلك فإسرائيل تحس الآن بان الفرصة واتتها بموافقة الولايات المتحدة ودعمها للعودة طرفا فاعلا في ملفات المنطقة ، وللانتهاء من خصمها الإيراني القريب بقدراتها العسكرية المتفوقة ؛ التي لم تنفع في فلسطين. والانتصار الإسرائيلي أن حصل هو أول انتصار معتبر للولايات المتحدة بعد هزائمها وخيباتها منذ احتلال أفغانستان والعراق. وهذه نقطه لمصلحتها في

(1) انظر ، أسباب الحرب الإسرائيلية السادسة على لبنان ، الفصل الثاني" من الانسحاب إلى الاحتلال "

مساعيها للخروج من العراق بحفظ ماء الوجه، وإصلاح العلاقة مع الأنظمة العربية التي أرادت تغييرها بعد إحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لقد نشبت الحرب الأهلية اللبنانية تحت وطأة الصراع العربي الإسرائيلي . أما اليوم فنحن في قلب نزاعين: النزاع الأمريكي الإيراني، والنزاع الإيراني العربي. " [1]

برز على الساحة الإيرانية تياران بارزان تجاه الحرب على لبنان :

التيار الأول : يتزعمه الجناح اليميني المتشدد من التيار المحافظ ويرى أن هذه الترسانة العسكرية التي بنتها إيران في لبنان وأنفقت عليها ٣ مليارات دولار في غضون ربع قرن تقريبا، المفروض أن توضع في احتياطي القوة لإيران، ولا يجوز استعمالها ضد إسرائيل إلا في حالة نشوب حرب بين إيران وكل من الولايات المتحدة وإسرائيل. وبما أن هذه الترسانة قد استعملت قبل أوانها، ومن دون أن تقع الحرب المذكورة، فقد ربط هذا الفريق موقفه النهائي من الحزب بالتطورات التي ستؤول إليها أزمة الملف النووي الإيراني، مع نهاية شهر أغسطس ٢٠٠٦ موعد انتهاء الإنذار الدولي لإيران بالتوقف عن تخصيب اليورانيوم وإلا تعرضت لعقوبات قد تمهد الأرضية لمواجهة عسكرية بين إيران والولايات المتحدة.

أما **التيار الثاني**، فهو التيار البرجماتي المؤيد للانفتاح على الخارج، ويتزعمه كل من هاشمي رافسنجاني ومحمد خاتمي، إذا يقول بأنه لم يعد بالإمكان بعد هذه الحرب الإسرائيلية الفظيعة على لبنان تحميل الطائفة الشيعية أكثر مما يلزم حتى لا تنقلب على حزب الله وتحمله المسئولية عن الموت والخراب الذي حل بأبنائها وبقراها وبمصالحها، كما انقلبت في السابق على قوات ياسر عرفات عندما كانت تسرح وتمرح في جنوب لبنان ولا تكترث بمصالح أهله اللبنانيين. وهذا التيار يميل إلى قطع

([1]) د. رضوان السيد " لبنان في مهب الصراع علي المنطقة العربية " CNN بالعربية بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠٠٦

احتمالات نشوب مواجهة ثانية مع إسرائيل من خلال القبول بقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، حتى لو اقتضى الأمر الاستجابة للضغوط الدولية والإقليمية بل واللبنانية بنزع سلاح حزب الله .

كانت الحرب الإسرائيلية التي دارت رحاها على لبنان لأكثر من شهر، ليست أكثر من محاولة للقضاء على حزب الله، وإنهاء تهديده لإسرائيل، وهي في ذلك جزء من مواجهة كبرى بين الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل من جهة وإيران وسوريا من جهة أخرى. لذا لم يكن مستغربا إطلاق اتهامات أمريكية وإسرائيلية لكل من إيران وسوريا بالمسئولية عن إشعال الأزمة وتسخين الجبهة الشمالية لإسرائيل من خلال تحريض حزب الله على القيام بعمليته، وهو ما يعيد تأكيد أن الحرب لم تكن على لبنان أو حزب الله، بل أيضا على كل من سوريا وإيران، في محاولة للقضاء على ما أسماه عمير بيريتس بـ"كتيبة الكوماندوز الإيرانية" المتقدمة . ([1])

مكاسب وتحديات

التداعيات التي تمخضت عن الحرب الإسرائيلية على لبنان لا تخلو من مكاسب عدة بالنسبة لإيران أهمها :

أولا : انكشاف قدرات الردع الإسرائيلية، وفشل إسرائيل في تحقيق نصر عسكري ملحوظ على حزب الله؛ الأمر الذي اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى اتخاذ قرارين يعبران عن فداحة هذا المأزق :

القرار الأول: يتمثل في توسيع العمليات العسكرية في الجنوب اللبناني، وهو قرار وصفه المراقبون بأنه "قرار اضطراري" في ظل إحساس بتراجع الفرصة لتحقيق إنجاز

([1]) محمد عباس ناجي " حرب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

سياسي مهم يستطيع أن يفرض نفسه على مجلس الأمن للخروج بقرار يتوافق مع الطموحات الإسرائيلية.

القرار الثاني : وهو قرار اضطراري أيضا، فيقضي بإقالة اللواء أودي آدم قائد القوات الإسرائيلية في الجبهة العسكرية مع لبنان، وتعيين اللواء موشيه كابلينسكي بدلاً منه، والسبب هو الحذر الشديد الذي سيطر على أداء اللواء أودي آدم وأدى إلى بطء تقدم القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني.

هذه التطورات في مجملها تعني عدم صعوبة إلحاق الهزيمة بإسرائيل حال دخولها في مواجهة مع قوات نظامية وأن ما يتردد عن قواتها التدميرية الهائلة له حدوده على الأرض ويمكن مواجهته بوسائل قتالية مضادة.

ثانيا : أن الدعوات التي انطلقت خلال الحرب إلى إيران بالتدخل لتسوية الأزمة أكدت نفوذ إيران على الصعيد الإقليمي وقدرتها على التدخل لتسوية الملفات الإقليمية العالقة.

ومع ذلك فلا تخلو الأزمة بدورها من تحديات عدة يمكن أن تواجه إيران خلال المرحلة القادمة، لعل أهمها :

١- أن إيران مقبلة على مرحلة حاسمة في أزمة ملفها النووي، لا سيما في ظل حالة الاستنفار التي بدت عليها الدول العربية المعتدلة خصوصا السعودية ومصر ضد النفوذ الإيراني المتنامي في المنطقة؛ الأمر الذي دفعها إلى انتقاد حزب الله، ووصف العملية التي قام بها في ١٢ يوليو ٢٠٠٦ بأنها "مغامرة لا تتحملها المنطقة". وثمة مؤشرات عدة تؤكد أن السعودية تنظر إلى حزب الله باعتباره امتدادا لإيران، وأنه لا يمكنها تصديق أن حزب الله اتخذ قرار العملية التي قام بها بدون علم الإيرانيين .

٢- ثمة ما يكشف عن أن تعمد إسرائيل في شن حرب إبادية ضد الشعب اللبناني واستهداف البنية التحتية اللبنانية كان هدفه تحميل حزب الله المسئولية عن نشوب

الحرب، ومن ثم تدعيم موقف القوى التي تنادي بنزع سلاح حزب الله، بما يعرضه للانكشاف ليس إقليميا ودوليا فحسب، بل ولبنانيا أيضا، وهو تطور سوف تكون تداعياته سلبية على إيران لأنها في هذه الحالة، سوف تخسر "ذراعها الطولى" في مواجهة إسرائيل، وكان يمكن أن تستند إليها عند نشوب أي مواجهة عسكرية بين الطرفين.

٣- وحتى في حالة تأجيل حسم مسألة نزع سلاح حزب الله، بعد قرار الحكومة اللبنانية في ١٥ أغسطس ٢٠٠٦ برفض نزع سلاح الحزب بالقوة، فإن قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ والذي وافقت عليه كل من إسرائيل ولبنان من شأنه تقليص قدرة حزب الله على تهديد شمال إسرائيل في المرحلة القادمة، وهو ما تدركه إيران جيدا، ومن ثم جاء موقفها من هذا القرار، مشوبا ببعض التردد، حيث أعربت عن تأييدها لأي قرار تتخذه الحكومة اللبنانية، لكنها في الوقت نفسه أيدت حزب الله في تحفظاته على القرار.

وهذا التردد يمكن إرجاعه إلى رغبة إيران في انتظار ما سوف تؤول إليه تطورات أزمة ملفها النووي التي دخلت مرحلة حاسمة بعد قرار مجلس الأمن بتحديد مهلة لإيران حتى ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦ لتوقف عمليات تخصيب اليورانيوم وإلا تعرضت لعقوبات، بما يعني أن تطورات أزمة الملف النووي سوف تحسم إلى حد بعيد الموقف الإيراني من حزب الله. (١)

كان هذا موقف حلفاء حزب الله فماذا عن موقف حلفاء إسرائيل ، وعند الحديث عن حلفاء إسرائيل فإننا نعني بالدرجة الأولى الولايات المتحدة ومن يدور في فلكها

---

(١) محمد عباس ناجي " حزب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب على لبنان

أكد جورج بوش ، على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وانتقد حزب الله لتقويضه جهود السلام في منطقة الشرق الأوسط ، محملا سوريا مسئولية تدهور الأوضاع بسبب إيوائها قيادات حماس وعلاقتها بحزب الله . [1]

ثمة تأكيدات أمريكية كثيرة ومهمة صدرت عن أشخاص لهم مكانتهم في دوائر صنع قرار السياسة الخارجية الأمريكية، اعتبرت أن الحرب الإسرائيلية على لبنان هي مقدمة لحرب أمريكية إسرائيلية على إيران لحسم الملفات العالقة معها وعلى رأسها الملف النووي .

كما تحدثت تقارير عدة عن وجود خطط أمريكية إسرائيلية معدة سلفا لمهاجمة حزب الله، فقد كتب الصحفي سايمور هرش، في مجلة ذي نيويوركر أن الرئيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني كانا واثقين من أن حملة قصف إسرائيلية ناجحة على مواقع حزب الله قد تهدئ من مخاوف إسرائيل بشأن أمنها. وقالت المجلة إن إدارة بوش كانت ترى في هذه الحملة مقدمة لهجوم وقائي أمريكي محتمل لتدمير المنشآت النووية الإيرانية.

وأضافت التقارير أن البيت الأبيض كانت له دوافع كثيرة لدعم حملة القصف، فإذا كان هناك خيار عسكري ضد إيران فإنه من الضروري القضاء على الأسلحة التي قد يستخدمها حزب الله للانتقام من إسرائيل. ورغم رفض مسئولي الإدارة الأمريكية لهذه الاتهامات، فإن ذلك لا ينفي أن النية كانت مبيتة لتنفيذ الخطط الأمريكية الإسرائيلية بشن حرب للقضاء على حزب الله. [2]

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

([2]) محمد عباس ناجي " حزب لبنان.. مكاسب وخسائر إيران " إسلام أون لاين – نت ٢٠٠٦/٠٨/٢٣م

ومن الجدير بالذكر إن إسرائيل و الولايات المتحدة تحاول إبراز صورة مفادها إن الحكومة اللبنانية لا حول لها ولا قوة على حزب الله وإن الحكومة اللبنانية هي رهينة في يد حزب الله حسب تعبير المسئولين الأمريكيين و الإسرائيليين .

وفي ٢٤ يوليو ٢٠٠٦ قامت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس بزيارة لبيروت وعرضت على الحكومة اللبنانية خطة تهدف حسب قناعة الإدارة الأمريكية إلى مساعدة الحكومة اللبنانية لمد سيطرتها على جميع مناطق الجنوب اللبناني، وذلك بنشر قوات قوامها عشرة آلاف جندي من مصر وتركيا، تحت قيادة حلف شمال الأطلسي أو الأمم المتحدة وقامت رايس بعرض نفس الخطة على رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت ، وتقر خطة رايس قيام القوات الإسرائيلية بالتوغل لمسافة تمتد ٢٠ ميلاً داخل الأراضي اللبنانية، لإنهاء تهديد صواريخ حزب الله لشمال إسرائيل . من الجدير بالذكر أن رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، رفض المقترحات التي حملتها وزيرة الخارجية الأمريكية إلى بيروت، قائلاً إنها تتعارض مع الأولويات اللبنانية.

وبعد حدوث مذبحة قانا في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ رفضت الحكومة اللبنانية استقبال وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس التي كان يتوقع وصولها بيروت في وقت لاحق ذلك اليوم، ما لم يتم وقف فوري لإطلاق النار وصرح رئيس الوزراء فؤاد السنيورة، أن لبنان لن يناقش "سوى وقف فوري وغير مشروط" لإطلاق النار وطالب السنيورة بإجراء تحقيق دولي حول ما جرى في "قانا". [1]

زلة لسان أم موقف رسمي

في ١٧ يوليو ٢٠٠٦ وأثناء اجتماع رسمي لمجموعة الثمانية G8 تمكنت وسائل الإعلام العالمية من التقاط حوار شخصي بين الرئيس الأمريكي جورج بوش و رئيس

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

الوزراء البريطاني توني بلير ولم يكن الاثنان أثناء الحوار على علم إن ميكروفونهم الشخصي كان مفتوحا . في هذا الحوار الشخصي أعرب بوش عن شعوره بالإحباط تجاه الوضع في لبنان وتفوه بعبارات غير دبلوماسية ومن هذه العبارات :

"إن المفارقة هنا هو إن كل ما عليهم أن يعملوه هو الضغط على سوريا لتضغط بدورها على حزب الله وهذا كفيل بان يوقف حزب الله الغائط الذي يمارسه" .

"لا يعجبني موقف كوفي عنان لأنه ميال إلى وقف إطلاق النار".

"أريد من كوفي عنان أن يتصل هاتفيا مع بشار الأسد ويحقق شيئا ملموسا".

أثناء الحوار الشخصي لوحظ توني بلير وهو يحاول إقناع الرئيس الأمريكي بأهمية موقف عالمي موحد لحل الصراع. استمر الحوار الشخصي المسموع والمرئي إلى أن انتبه توني بلير إلى الميكروفون المفتوح وقام بإغلاقه. رسميا وبعيدا عن ذلك الحوار الشخصي لخص جورج بوش مطالب حكومته بنزع سلاح حزب الله إستنادا إلى قرار مجلس الأمن المرقم ١٥٥٩ المطالبة بنزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية [1]

ولقد عملت أمريكا على تعطيل قرار وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب حتى تتمكن لبنان من تنفيذ أهدافها ثم بعد ذلك قدمت مشروع القرار الفرنسي/ الأمريكي الذي تمخض عنه القرار ١٧٠١ الذي يصب مصلحة إسرائيل والحكومة اللبنانية .

رد فعل الأمم المتحدة

طالب كوفي عنان حزب الله بإطلاق سراح الجنديين الأسيرين الإسرائيليين في لبنان، ودعا زعماء المنطقة إلى العمل على منع حدوث تصعيد للصراع في الشرق

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

الأوسط و أوعز لفريق مكون من ثلاثة أشخاص، بقيادة مستشاره السياسي الخاص، فيجاي نامبيار، للتوجه إلى الشرق الأوسط "للمساعدة في نزع فتيل الأزمة في المنطقة." [1]

وتتلخص مطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الصادر في سبتمبر عام ٢٠٠٤ الداعية إلى "حل ونزع سلاح كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية" وكذلك "بسط سيطرة الحكومة اللبنانية على كافة أراضي لبنان". وكذلك تقترح الأمم المتحدة نشر قوة دولية في جنوب لبنان وقد طلب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بوقف فوري لإطلاق النار في لبنان وأدان عنان حزب الله "لإشعاله فتيل العنف الدائر في لبنان" كما انتقد في الوقت ذاته إسرائيل بسبب "الاستخدام المفرط للقوة" .

صرح جون بولتون السفير الأمريكي في الأمم المتحدة في مقابلة مع شبكة "سي إن إن" الأمريكية أن الإدارة الأمريكية تبحث بعناية فكرة نشر قوات متعددة الجنسيات بناء على تفويض من مجلس الأمن" ومن الجدير بالذكر أن وزير الدفاع الإسرائيلي عمير بيريتس قال إن بلاده قد تقبل قوات حفظ سلام تابعة لحلف الناتو في جنوب لبنان لضمان إبعاد حزب الله عن الحدود الإسرائيلية اللبنانية وقالت مصادر من الأمم المتحدة إن فرنسا وتركيا في مقدمة الدول المرشحة لقيادة مثل هذه القوة وأن إيطاليا واليونان والبرازيل أبدت استعدادها للمشاركة فيها في ٢٦ يوليو ٢٠٠٦ وبإشراف كوفي عنان عقد اجتماع حول الأزمة في لبنان في روما بحضور فؤاد السنيورة و كوندوليزا رايس و وزير الخارجية الإيطالي ماسيمو داليما وجاء في البيان الختامي إن هناك حاجة إلى قوة دولية لدعم الجيش اللبناني وصرح كوفي عنان إن قوة متعددة الجنسيات بإمكانها أن تساعد لبنان على فرض سلطتها وتطبيق قرارات مجلس الأمن

([1]) نفسه .

التي تؤدي إلى نزع سلاح حزب الله كما أعرب عن اعتقاده أنه من الضروري ضم سوريا وإيران إلى أي اتفاق نهائي حول لبنان .

بعد حدوث مذبحة قانا ٢٠٠٦ في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ وبعد ساعات على الإعلان عن مقتل المدنيين في قانا، خرجت تظاهرة غاضبة في وسط بيروت أمام مبنى الأمم المتحدة "الأسكوا"، ردّد فيها المشاركون شعارات منددة بإسرائيل وهاجم المتظاهرون مبنى الأمم المتحدة واقتحموا المكاتب محدثين أضرارا كبيرة فيها كما رفعوا أعلام حزب الله مكان أعلام المنظمة العالمية وأحرقوا الأعلام الإسرائيلية وقد دفع ذلك رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى توجيه رسالة تلفزيونية إلى المتظاهرين يطالبهم فيها بعدم التعرّض للمبنى [1]

كان هذا موقف أمريكا والأمم المتحدة فماذا عن الموقف العربي والجامعة العربية

موقف الرسمي للدول العربية المعتدلة من الحرب

الموقف الرسمي للدول العربية المعتدلة والذي يقف على قمته مصر والسعودية والأردن ومن ورائهم دول الخليج والحكومة اللبنانية ، هو إدانة حزب الله فيما قام به ضد إسرائيل ففور بدء المعركة – أو بعده بقليل –أعلنت هذه الدول عن رفضها لسياسة المغامرات غير المحسوبة التي أشعلت فتيل المعركة دون إخطار الحكومة اللبنانية المنتخبة ولا التشاور مع القوى الإقليمية ولا مراعاة للظروف الدولية هذا لتمتص غضب إسرائيل من جهة وتحذر حزب الله من التمادي في سياسته الاستفزازية من جهة أخرى ، لكن عندما جاء الرد الإسرائيلي العنيف وما قامت به من دمار شامل للبنان فإن هذه الدول أخذت على عاتقها إنهاء هذه الحرب ، والتنديد بالعدوان الإسرائيلي الغاشم حتى تمكنت في الناهية من التوصل إلى القرار ١٧٠١

([1]) نفسه .

فقد حذر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني والرئيس المصري حسني مبارك مما وصفاه بانجراف المنطقة إلى مغامرات لا تخدم شعوب المنطقة.

وأكد الزعيمان في لقاء جمعهما بالقاهرة دعمهما للحكومة اللبنانية في بسط سلطتها على كامل التراب اللبناني .

ودعا مبارك وعبد الله الثاني إلى وقف إطلاق النار وتسوية الأزمة بصورة تؤدي لإطلاق الأسرى لإنهاء الوضع المتدهور الراهن .

ونددا الزعيمان بالعمليات العسكرية الإسرائيلية، وطالبا إسرائيل بإيقافها فورا وحذرا من أجواء حرب تقوض فرص السلام .

وقبل ذلك ألقت السعودية باللوم على "عناصر" داخل لبنان ومن يقف وراءها في التدهور الأمني مع إسرائيل، وهو ما اعتبر انتقادا صريحا على غير العادة موجها إلى حزب الله وأنصاره في طهران. [1]

ورد حسن نصر الله عليهم قائلا " أما الحكام العرب لا أريد أن أسألكم عن تاريخكم فقط كلمة مختصرة نحن مغامرون نحن في حزب الله مغامرون نعم ولكننا مغامرون منذ عام ١٩٨٢ لم نَجُر إلى بلدنا سوى النصر والحرية والتحرير والشرف والكرامة والرأس المرفوع هذا هو تاريخنا هذه هي تجربتنا هذه هي مغامراتنا في عام ١٩٨٢ قلتم عنا وقال العالم إننا مجانين وأثبتنا أننا العقلاء أما مَن هم المجانين هذا شأن آخر لا أريد أن أدخل في سجال مع أحد أقول لهم راهنوا على عقلكم وسنراهن على مغامرتنا والله ناصرنا وهو معيننا لم نراهن في يوم من الأيام عليكم راهنا على الله وعلى شعبنا وعلى قلوبنا وعلى سواعدنا وعلى أبنائنا ونحن اليوم نقوم بنفس الرهان والنصر آتٍ، آتٍ إن شاء الله . [2]

([1]) الجزيرة نت الموافق ٢٠٠٦/٧/١٥ م

([2]) برنامج ما وراء الخبر حول " الموقف العربي من حزب الله " قناة الجزيرة بتاريخ ١٤ / ٧ / ٢٠٠٦

ويعلق عبد الباري عطوان – رئيس تحرير جريدة القدس العربي على رد حسن نصر الله فيقول : " رد رجل يقود شعبه في مقاومة تاريخية غير مسبوقة رد رجل يدخل التاريخ على أنه أول زعيم عربي قصف حيفا قصف نهاريا قصف ترشيحا هذه هو الشيخ أو السيد حسن نصر الله يعني من حقه أن ينتقد الزعماء العرب خاصة أولئك الذين وصفوه بالمغامر [1]

والموقف الرسمي للدول العربية المعتدلة لم يكن مسايرا للهوي العام الذي ارتفعت سخونته بسبب الجرائم الإسرائيلية علي الأرض اللبنانية من ناحية، والمنطق التقليدي المصري والعربي الذي تعود علي خلق معايير عربيه خاصة لا يعرفها العالم ولا يرعاها علم من العلوم الإستراتيجية .

ويعبر د. عبد المنعم سعيد عن وجهة نظر الدول العربية المعتدلة فيقول : " لا يختلف أحد مع الوقائع أو الحقائق الإستراتيجية كما جرت علي الأرض عندما وضعت الحرب أوزارها وتبين للفرقاء أين كانوا وكيف أصبحوا. وعندما جرى بعضنا إلي إسرائيل يستعير معاييرها ومقاييسها، أو سعي لخلق معايير ومقاييس جري في العادة استخدامها للتضليل والهروب من الحقيقة ، أو راح يطلق النعوت والأوصاف محولا المناظرة إلي مهاترة، كانت مدرسه الفكر السياسي العربي التي استبدت بعقولنا طوال خمسه عقود قد وصلت إلي حافة الإفلاس والخواء .

وعلي أية حال فقد جرى ما جرى ، وبات علي الأمة أن تلملم جراحها، وفي الوقت الذي حاول فيه بعض الساسة أن يصوبوا الطلقات الكلامية علي عدد من الدول العربية لأنها أبت أن تقاد من أنوفها إلي معارك لم تشارك في صنعها، فإن هذه الدول المُتَّهَمَة هي التي قادت المعركة الدبلوماسية في الأمم المتحدة لكي تنقذ ما يمكن

([1]) نفسه .

إنقاذه في مشروع القرار الفرنسي/ الأمريكي حتى يصبح القرار ١٧٠١ بالقليل الذي له والكثير الذي عليه من وجهه نظر المصالح اللبنانية .

ولا يقل أهمية عن ذلك أن هذه الدول العربية ذاتها كانت هي التي رصدت أموالا حقيقية لإعادة إعمار لبنان للمرة الثانية، وكانت هي التي قدمت المعونات الفنية لإصلاح ما تم تدميره. وللحق فإن السيد حسن نصر الله قد تصرف بعقلانية واضحة منذ صدور قرار مجلس الأمن، فقد تجاوب مع قرار مجلس الوزراء اللبناني الذي يمنع وجود الأسلحة في الجنوب لغير قوات الجيش اللبناني، ولم يعترض علي اعتبار إطلاق صاروخ علي إسرائيل نوعا من الخيانة العظمي. وباختصار كان حزب الله– بعد وقف إطلاق النار– مساهما في تهيئة الأجواء اللازمة للانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية التي جرى احتلالها مرة أخرى ولمن يعرفون الإدارة الرشيدة للأزمات الدولية فإنهم يدركون تماما أن الأزمة بحكم التعريف كما تحتوي علي' خطر' التحول إلي حرب عظمي ومستمرة لفترة طويلة، تشتمل أيضا علي' فرصة ' يمكن عندها تسويه النزاع أو علي الأقل دفعه خطوات علي طريق السلام .

وخلال الأسابيع القليلة الماضية حينما احتدمت المواجهة بالحديد والنار ساد الظن لدي كثيرين علي الجانب العربي أن طريق السلام بات مستحيلا، بل أنه بات من العبارات المعتادة أن السلام العربي الإسرائيلي لم يحقق لنا شيئا، فلا تحررت سيناء ولا أراضي أردنية وفلسطينية أو سورية ؛ وأن الطريق الوحيد للعلاقات مع إسرائيل لا بد وأن يمر من خلال المواجهة العسكرية التي تقودها المليشيات العسكرية البعيدة عن سلطه الدولة العربية .

وهكذا بات مفهوما ضمنيا أن طريق التحرير سوف يمر عبر مجموعة من المراحل التي تبدأ بالقدرة علي' التصدي' الذي يترجم في المقاييس العربية الخاصة علي أنه

الانتصار، وبعد أن تحصل المليشيات العربية المقاتلة علي النصر تصبح ازدواجية السلاح والسلطة في الدولة مقبولة ، أو بمعني آخر الفوضى سواء على الطريقة اللبنانية أو الطريقة الفلسطينية .

ولكن لحسن الحظ فإن هناك مساحة للعقل والرشد في عالمنا العربي لا تزال باقية، وعلي عكس ما يعتقد كثيرون بأنه لم يعد هناك غير طريق الحرب، فإن آخرين رأوا فيما جرى بصيصا من نور طريق للتسوية. وعندما أعلنت مصر والسعودية والأردن عن تقديم مشروع لمجلس الأمن من أجل تسوية الصراع العربي/ الإسرائيلي فإنها كانت تحاول طرق الحديد وهو ساخن وقبل أن ينصرف الاهتمام العالمي بالأحوال في الشرق الأوسط .

فقد أكد استخدام القوة من ناحيتنا إلي مزيد من احتلال الأرض، ومن الناحية الإسرائيلية فإنها أثبتت أن طريق الحرب لا يحل المعضلة الأمنية وإنما يضاعف منها، ومهما كان التفوق العسكري الإسرائيلي فإنه لن يقود إلا إلى مزيد من الكراهية لدي الشعوب العربية، فضلا عن التكلفة العالية للنصر في المعارك. وعلي الناحيتين فإن استخدام القوة لم يَقُدْ إلا إلى الدمار ونزيف الدماء مهما أحرز طرف من نقاط هنا أو هناك؛ ولم يعد الخيار القائم هو ما بين النصر أو الهزيمة وإنما بين التسوية أو استمرار الصراع قرنا آخر من الزمان تدفع ثمنه الشعوب من تقدمها ورخائها.

ولكن العالم العربي عليه أن يتعلم من دروس الماضي هذه المرة، فلا توجد إمكانية للسلام ما لم يتم فتح حوار جاد حول منجزات وإخفاقات المحاولات السلمية السابقة. ومن الطبيعي تماما أن يلقي اللوم علي إسرائيل وترددها وجماعاتها الاستيطانية ومحاولاتها المستمرة لترجمة توازنات القوى إلى مكاسب توسعية. وبصراحة كاملة فإنه لن توجد جماعة أو قيادة عربية علي استعداد للتخلي عن بوصة واحدة من الأراضي

العربية التي جرى احتلالها خلال حرب يونيو١٩٦٧ أو خلال الحرب الأخيرة. ولكن علي الجانب الآخر فإن علينا أن نتحمل مسئوليتنا الكاملة عن عدم الدفاع عن طريق السلام؛ وبصراحة أكثر فإنه لا يوجد لدى مصر خاصة ما تخجل منه عندما وقعت اتفاقية السلام مع إسرائيل لأنها لم تحرر أرضها فقط، وإنما أبقتها محررة علي مدي الربع قرن الماضي علي عكس أراض فلسطينية ولبنانية جرى تحريرها ثم تمت معاودة احتلالها مرة أخرى .

وإذا كان هناك درس نتعلمه من المبادرة العربية – والمبادرات العربية السابقة عليها– فهو أن المبادرات لا تنفِّذ نفسها، وأن هناك قوى عربية مسلحة ستحاول إفساد كل مبادرة عن طريق عمليات عسكرية تجعل خيار' المقاومة' مقدما علي خيار التحرير. ولعلنا جميعا نتذكر العمليات الانتحارية/ الاستشهادية التي جرت عقب كل تقدم في عمليه السلام والجلاء الإسرائيلي عن الأراضي العربية، وعملية " نتانيا " التي استهدفت المبادرة العربية في بيروت وأعطت لشارون– الذي لا يحتاج لذرائع كثيرة – الذريعة ليس فقط لإجهاض المبادرة وإنما لإعادة غزو الضفة الغربية مره أخري. ولا أظن أن هناك طريقة للتعامل مع هذا الموقف دون فتح حوار واسع وشفاف مع جماعات حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله وغيرهم، ومع إيران وسوريا، علي قاعدة أن تحرير الأرض وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة مقدم علي إثبات المواقف الباسلة.

مثل هذه الحوارات الجادة والشفافة ضرورية ليس فقط أمام الشعوب العربية التي باتت واقعه تحت استقطابات فكرية حادة ، وإنما ضرورية إزاء العالم أيضا لإثبات أننا جادون علي طريق السلام. وإذا كان هناك درس نتعلمه من الأزمة اللبنانية الأخيرة فهو أن هناك تحولات جوهرية في دول العالم ليست لصالحنا للأسف، ولكن عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر لم يبق لنا من المؤيدين إلا رئيس جمهوريه فنزويلا الذي يعاني مثلنا من الشك العالمي والعزلة الدولية. فإذا ما أدركنا ذلك كله فإن حملة

دولية لدي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة سوف تصبح أكثر من ضرورية. " (1)

الموقف المصري الرسمي من الحرب ودوافعه

ويمكن تقديم تصور للموقف المصري ودوافعه من خلال ثلاث محاور هي :

١- الموقف الرسمي من حزب الله .

٢- الموقف من الحرب – من وجهة النظر الرسمية .

٣- الدور المصري .

أولا : الموقف المصري من حزب الله :

١- أن الذي بدء الاستفزاز هو حزب الله ... وهذا الحزب لغز وعليه دوائر كثيرة ويحيطه غموض ، ففضلا عن إنه صنيعة إيرانية ، هناك كلام كثير يدور عن شيء يطبخ ... ربما دولة شيعية في الجنوب .

٢- ما دام الحزب إيراني بالتبعية ، فلا يجوز الانجرار وراء خطط توظفنا حسب هواها ولمصالحها.

٣- وعليه يكون المطلوب وقف هذا الحزب فورا .. مادام لن يحرر أرض أو يحقق نصر .. بل ويسبب مشاكل قد تجر المنطقة كلها إلى ما لا يحمد عقباه.

ثانيا: الموقف من الحرب – من وجهة النظر الرسمية .

إن الموقف المبدئي المعارض للحزب ... ليس طبعا ضد عمل المقاومة ... بل ضد السياسة الإيرانية الزاحفة لابتلاع المنطقة بكاملها .

(1) د. عبد المنعم سعيد " وقت للسلام وليس للحرب ! " جريدة الأهرام ٢٨ أغسطس ٢٠٠٦

١- لكل حرب هدف استراتيجي ... ما هو الهدف المفترض لحزب الله في هذه الحرب ... حماية لبنان ... أليس ذلك هو الهدف النهائي في حرب غير متكافئة ... هل استطاع الحزب حماية لبنان !.. بل علي العكس أحتمي الحزب في المدنيين (الاحتماء في المدنيين وإطلاق الصواريخ من الأحياء المدنية) مما أوجد ذريعة للعدو لقصف تلك الأحياء .

٢- ما هو المتحقق العسكري للحزب في النهاية .. لا شيء بل الخسارة الكاملة ، سوف يفقد الحزب عاجلا أم آجلا الجنوب تماما ويتم إبعاد مليشياته من ١٥ إلى ٢٠ كيلو إلى الشمال ناهيك عن نزع سلاحه .

٣- للرد علي الذين يقولون لماذا لم تستخدم مصر كروتها للضغط علي إسرائيل – قناة السويس – البترول – الغاز – مناورة بحرية حقيقية في المياه الدولية. الحرب إستراتيجية دولة ومصر حين اختارت (السلام خيار إستراتيجي) كانت جادة تماما كما أن الحرب عمل عسكري له تخطيط طويل وتدريب وخطط وبدائل واستعداد، وتهيئة الجبهة الداخلية ناهيك عن السلاح وقطع الغيار والتكلفة وحماية المصالح بصواريخ مضادة للطائرات وصواريخ مضادة للصواريخ وجيوش تحمى هذه الصواريخ فضلا عن عمل مخابراتي طويل يسبق الحرب بأعوام

٤- حرب إسرائيل مع مصر ليس كحربها مع حزب الله يكفى نظام الري في مصر. الحزب ليس لديه مصالح ممكن تركيعه بتدميرها فالحزب لم يرتدع رغم تدمير لبنان كلها ..

ثالثا: الدور المصري :

هنا قد تكون الصراحة في بعض الأحيان مؤلمة وجارحة ولكنها مطلوبة حتى تعرف كل الأطراف مالها وما عليها. الملاحظ أن مصر الرسمية تتخلي عن دورها عن عمد واضح ... وفى تقديري أن ذلك يعود إلى :

١- أن الدور المصري لا يتم تذكره إلا في الملمات - بالمثل الشعبي - (في الهَمِّ مَدْعيَّة وفى الفرح مَنْسيَّة) كم هي استثمارات دولة عربية واحدة (قطر مثلا) في دولة أوربية واحدة .. وكم هي الاستثمارات العربية كلها في مصر ؟

٢- كيف تمت معاملة مصر بعد تحرير للكويت ... وجه وزير التعمير السابق المهندس حسب الله الكفراوى حديثه إلى (الأمير سعد العبد الله) ولى عهد الكويت في هذا الوقت أمام جمع من الصحفيين وطلب منه أن يكون لشركات المقاولات المصرية دور في إعادة تعمير الكويت ... فرد سموه : الكويت لن تخضع للابتزاز المصري (صحيفة الوفد).

قارن بين مرتبات الجنود المصريين والأمريكان . مؤخرا كان هناك مسابقة في الجرائد الكويتية كان موضوعها . كم هي المساعدات الكويتية لمصر؟

٣- أليس من ضمن المآخذ على عبد الناصر الدور المصري الذي مارسه ببذخ على الدول العربية مما أضاع على مصر ثروة كان من الممكن استثمارها داخليا ربما كانت لها تأثير الآن .

٤- الدور ليس من خلال الميكروفونات فإن له تكاليفه الباهظة . أليست مصر أولي بعدما شحَّ عليها الأخ والصديق .

٥- ثم أن الدول العربية دول غير مؤثرة لا إقليميا ولا عالميا ، فهي إما أوضاعها بالغة الخطورة أو ميئوس منها كما أنها دول غير منتجة لأي شيء (سوى التآمر على مصر- انظر القرار الوحيد الذي اتفق العرب عليه بالإجماع في الجامعة العربية هو مقاطعة مصر) أو لديها صناعة متقدمة ، وهي غالبا متناحرة فيما بينها أو تحاول أن تناطح مصر لأسباب غير مفهومة . دول الخليج لن تأتي إلى مصر إلا بعد انتهاء مرحلة البترول . العراق ممزق ، سوريا غارقة ومتورطة في لبنان وحل عليها الغضب

الأمريكي ، ليبيا سلمت نفسها ، السودان يعوم فوق بحر من المشاكل والبترول! دول المغرب البعد الجغرافي أبعدها بدرجة كبيرة .

٦- الكلام عن دور إيراني ودور سوري وأدوار متوهمة كلها تهويمات فصاحب المصلحة جاء بنفسه إلي المنطقة ولم يعد بحاجة إلي وسيط يدير له مصالحه فكل الجهود تبذل حتى تلفت أنظار سيد العالم والبيت الأبيض لعل وعسي إلى ما يمكن أن تقدمه أو تقوم به لصالح العم سام حتى إيران.

ما سبق كان على افتراض أنه الرأي الرسمي غير المعلن لمصر والذي يمكن للمراقب أن يستشفه من الموقف عموما .[1]

الموقف الرسمي اللبناني من الحرب

أعلنت لبنان على لسان رئيس الوزراء، فؤاد السنيورة ، موقفها من عملية حسن نصر الله حيث قال السنيورة أن : "حكومته ليست مسئولة، ولم تقر عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين ".

وفي ١٥ يوليو ٢٠٠٦ أعلن السنيورة لبنان بلدا منكوبا ودعا إلى وقف فوري لإطلاق النار ولم يتطرق السنيورة على الإطلاق لفكرة أن الهجوم الإسرائيلي موجه إلى حزب الله فقط بل تحدث عن تعرض لبنان كدولة إلى عدوان غير مبرر أعرب عن استعداد الحكومة " لبسط سلطتها على جميع الأراضي اللبنانية بدعم من الأمم المتحدة بالنسبة لموقف السنيورة من قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٥٩ والذي ينص على نزع سلاح الميليشيات بما فيها حزب الله فقد صرح السنيورة بان "موقف

([1]) صابر حسنين علام : الموقف المصري من العدوان على لبنان .صحيفة " المصريون " بتاريخ ٢٧ - ٨ - ٢٠٠٦

الحكومة اللبنانية هو احترام قرارات الشرعية الدولية، لكن هناك بعض النواحي من القرار ١٥٥٩ تحتاج لتوافق داخلي" . [1]

الموقف الرسمي للمملكة العربية السعودية من الحرب

ألقت السعودية باللوم على "عناصر" في داخل لبنان في العنف مع إسرائيل، وقال بيان نشرته وكالة الأنباء السعودية إن السعودية "تود أن تعلن بوضوح أنه لا بد من التفرقة بين المقاومة الشرعية وبين المغامرات غير المحسوبة التي تقوم بها عناصر داخل الدولة ومن وراءها، دون رجوع إلى السلطة الشرعية في دولتها، ودون تشاور أو تنسيق مع الدول العربية، فتوجد بذلك وضعاً بالغ الخطورة، يُعّرض جميع الدول العربية ومنجزاتها للدمار، دون أن يكون لهذه الدول أي رأي أو قول." ويعتبر هذا الموقف انتقاد صريح على غير العادة موجه إلى جماعة حزب الله وأنصارها الإيرانيين[2]

موقف الجامعة العربية

في ١٥ يوليو ٢٠٠٦ عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا طارئا بدعوة من أمين عام جامعة الدول العربية ، عمرو موسى في القاهرة لمناقشة الهجوم الإسرائيلي على لبنان وترأس الجلسة حسين الشعالي، وزير الدولة للشؤون الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة الذي صرح بعد الجلسة "أن الأمم المتحدة هي المكان الذي يجب قصده من أجل وقف الهجوم" واعتبر حسين الشعالي قرار الجامعة العربية هذه "وقفة تاريخية رغم الاختلافات وذلك لحرص الجميع على ضرورة إنجاح الاجتماع ووقف الهجوم على لبنان" .

([1]) الموسوعة الحرة " ويكيبيديا " ردود الفعل على الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

([2]) نفسه .

بينما تم اعتبار موقف الجامعة من قبل الشارع العربي فشلا ذريعا وصمتا على العدوان الذي يتعرض له لبنان كانت مواقف السعودية و الكويت منتقدة لحزب الله و موقف سوريا وصرح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قبل الاجتماع الذي حضره ١٨ وزير خارجية عربي : " إن بعض الجهات تتصرف بطريقة "غير مسئولة وغير مناسبة وغير متوقعة" وجاء هذا الموقف متناغما مع موقف الرئيس المصري محمد حسني مبارك والعاهل الأردني عبد الله الثاني بن الحسين اللذان صرحا بعد قمة عقداها في القاهرة في ١٤ يوليو وحذرا فيه " أي طرف من القيام بأعمال تصعيدية غير مسئولة تستهدف جر المنطقة إلى أوضاع خطيرة وتورطها في مواجهات غير محسوبة تتحمل تبعاتها دول المنطقة وشعوبها" .

يعتقد المحللون السياسيون إن سبب انقسام الصف العربي سببه الحلفاء التقليديون للولايات المتحدة ، مثل السعودية ومصر والأردن؛ معظمها ذات أكثرية سنيّة؛ تتخوّف من صعود الشيعة للسلطة في المنطقة ، ووفق مصادر من وكالة أسوشيتد برس فإن بعض الدول العربية ذات الأغلبية السنيّة تشجع ضمنا، تدمير حزب الله، مدفوعة بمخاوف أنه قد يشن هجمات ويشكل خلايا مسلحة خارج حدود لبنان، وهناك مخاوف من أن المسلحين السنة قد ينضمون تحت لواء حزب الله، كما فعلت حركة المقاومة الإسلامية "حماس". لكن الدول العربية في نفس الوقت تتخوف من أن تنقلب شعوبها ضدها إذا أظهرت ضعفا في عدم قدرتها على تحدي العدوان الإسرائيلي على لبنان [1]

موقف الشعوب العربية والإسلامية غير الرسمية

- حيا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في بيان أصدره عن العملية التي قامت بها المقاومة اللبنانية ضد إسرائيل، والتي أسر على أثرها جنديين إسرائيليين. وأن

([1]) نفسه .

الجنديين الذين أسرتهما المقاومة اللبنانية إنما هم أسرى حرب تنطبق بحقّهم الاتفاقيات الدولية التي تحكم قضايا الأسرى، وليس في هذه الاتفاقيات ما يبيح لدولة الأسير اجتياح أراضي آسريه، وضرب منشآته المدنية وبنيته الأساسية .

* شهدت المحافظات السورية يوم الاثنين ١٧ يوليو مسيرات شعبية كبيرة تضامنا مع المقاومة اللبنانية والشعب اللبناني في وجه الهجمات الإسرائيلية. وشارك أكثر من ألفى فلسطيني في مسيرة جماهيرية في رام الله بالضفة الغربية . و تظاهر نحو ٦٠٠ تونسي في ساحة محمد علي أمام مقر الاتحاد العام التونسي للشغل وسط العاصمة تونس تعبيرا عن استنكارهم واحتجاجهم على الهجمات الإسرائيلية.

• ندد مشاركون في اعتصام دعا إليه طلبة في جامعة اليرموك بالهجمات الإسرائيلية المستمرة على لبنان والعمليات العسكرية الإسرائيلية ودعت المجتمع الدولي للتدخل لوقفها.

• نظمت النقابات المهنية ومنظمات المجتمع المدني بمصر مظاهرات تأييد للمقاومة اللبنانية والفلسطينية. وردد المتظاهرون هتافات مؤيدة لحزب الله و حماس، مطالبين الحكام العرب باتخاذ مواقف ترقى لطموحات الشعوب العربية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ودعم المقاومة.

• نظم أبناء الجالية اللبنانية في فرنسا تظاهرتين منفصلتين للاحتجاج والتنديد بالاعتداءات الإسرائيلية على لبنان. التظاهرة الأولى ندد فيها أنصار تجمع الرابع عشر من آذار بحزب الله وانتقدوا ما وصفوه بتفرد الحزب باتخاذ قرارات عرضت البلاد للخطر. ومن جانبهم أثنى أنصار حزب الله على مواقف الحزب في مظاهرة أخرى خرجت بالقرب من مقر اليونسكو بباريس .

• في العاصمة الإندونيسية جاكرتا تظاهر الآلاف للتنديد بالهجوم الإسرائيلي على لبنان والأراضي الفلسطينية .

- تظاهر الآلاف من مواطني مدينة ديار بكر التركية تضامنا مع الشعبين اللبناني والفلسطيني . [1]

للأسف الشديد إن أكثر الشعوب العربية تغلب عليها العاطفية الحدسية أكثر من العقلانية العلمية وهو أمر ليس بجديد ولا طارئ عليها إنما هو قديم ومتأصل فيها ، ودل عليه كثير ممن بحث طبيعة شخصية الشرق العربي فالدكتور زكي نجيب محمود يشبه الشرق بالفنان الذي " يدرك العالم بروحه لا بعقله أما الغرب فطابعه الأصيل العميق هو النظر إلى الوجود الخارجي بعقل منطقي تحليلي يقف عند الظواهر مشاهدا لها وهي تطرد وتتابع على هذه الصورة أو تلك فيجعل من هذه الاطرادات في الحدوث قوانين يستخدمها بعدئذ في استغلال الظواهر الطبيعية على النحو الذي يرضيه ولا بد لمثل هذه النظرة من السير في خطوات استدلالية تنتزع النتائج الصحيحة من مقدماتها الصحيحة وتلك هي نظرة العلم وهذه التفرقة التي تجعل من الشرقي فنانا يدرك الحقيقة بذوقه ومن الغربي عالما يدرك الحقائق بالمشاهدة والتجربة والتحليل والتعليل لا تنفي بطبيعة الحال أن يكون في الشرق علماء ، ولا أن يكون في الغرب رجال دين وفن لكننا نطلق القول على وجه التعميم الواسع الذي يفسر بعض التفسير ما هو شائع على الألسنة من وصف الشرق بالروحانية ووصف الغرب بالمادية " [٢]

فالعربي عند د.زكي نجيب محمود تحركه عواطفه وأهوائه لا عقله وعلمه " وماذا ينقص العربي أكثر مما ينقصه من مثل هذه القدرة على التفرقة بين حقائق الدنيا الواقعة من جهة ، وبين انطباعاته هو بتلك الحقائق من جهة أخرى ؟ وليس العيب

([1]) نفسه .

(2) د. زكي نجيب محمود " الشرق الفنان " ص ٤ الهيئة العامة للكتاب .

هو أن يكون للإنسان أهواؤه بالنسبة لمن يصادفه في عالم الأشياء ، فيحب ما يحب ويكره ما يكره ، ولكن العيب كل العيب هو أن نخلط بين الجانبين ذلك الخلط الذي يجيز لنا أن نتحدث عن أوهامنا وأحلامنا ثم نظن أننا نتحدث عن أمور الواقع " (١)

لقد تعاطفت الجماهير العربية مع ما قام به حزب الله وخرجت المظاهرات في كل الوطن العربي رافعة صور حسن نصر الله وهاتفة له بهتافات البطولة والزعامة ، كما تعاطف العرب والمسلمون مع المجاهدين الأفغان الذين جاهدوا السوفييت – بمساعدة أمريكا والدول العربية والإسلامية – وعندما تم جلاء السوفييت تحول الرفقاء إلى فرقاء بل إلى أعداء وتحول الجهاد المقدس ضد الروس الكفرة إلى حرب مدنسة ضد الأفغان المسلمين ، وحدث ذلك مع تنظيم القاعدة الذي أسسته المخابرات الأمريكية في الحرب الأفغانية على الاتحاد السوفييتي ، وبعد الحرب انقلب و وجه حربه إلى أمريكا ومصالحها ثم تحول ليقتل الأبرياء في العراق والزرقاوي خير شاهد على ذلك .

فنحن عاطفيون نسارع دائما لتأييد أي جماعة – خاصة لو كانت دينية – تقاتل أمريكا أو إسرائيل بصرف النظر عن طبائعها ومنطلقاتها ومشاربها وأهدافها ووسائلها ، وليس هذا التأييد العاطفي قاصر على الجماعات بل يشمل الدول أيضا فالشعوب العربية والإسلامية سعيدة بتحدي إيران لأمريكا بغض النظر عن هدفها الاستراتيجي الرامي للسيطرة على دول الخليج وإعادة الإمبراطورية الفارسية الغابرة أو الخلافة الإسلامية الشيعية ، إن العجز وقِصَر النظر والعاطفية هي وراء تأييد كل هذه الجماعات والدول ،وليس تأييد المبادئ والأهداف الوطنية أو القومية المشروعية .

يعرِّف أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الدبلوماسية بقوله : " الدبلوماسية هي : فن إلقاء العبارات اللطيفة أمام كلب يهاجمك حتى تجد حجرا تضربه به " .

(1) د. زكي نجيب محمود " ثقافتنا في مواجهة العصر " دار الشروق ص ١٥٨

ويقول آخر : " الدبلوماسية : أن تجعل من يختلف معك يسير في طريقك " .

والعرب تهاجمهم كلاب الأرض وبدلا من سعيهم لجمع الحجارة والدفاع عن أنفسهم يغرون سفاءهم بمشاغبة تلك الكلاب مما يزيد من سعارها وكثرة ضحاياها .

فالمنطق العربي يعد الدبلوماسية عجزا ويستبدل بها العنترية التي هي فن إلقاء الخطب الاستفزازية التي تهدي العدو مبررات عدوانه ، وتجعل من الدفاع المشروع إرهابا .

***